وإذا كان من الصعب التوقف عند مقولات الكتاب الذي يقع في ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الطويل وضمن ثمانية فصول وهوامش طويلة، فإنه لا بأس من المرور السريع على بعض مفاتيح الكتاب الذي لا غنى لأي باحث ودارس في مجال الفن في العصر الإسلامي الأول عن هذا الكتاب، سواء من الناحية العلمية والأكاديمية الرفيعة أو من ناحية أسلوب كتابته المبسط الذي لا يحتاج إلى معرفة مسبقة بموضوعه.

بيد أن اللغة المبسطة للكتاب يقف خلفها مترجم متمكن هو عبد الودود العمراني، بحسب المؤلفين الذين وجدوا أنه «لم يكتف بإظهار قدرة نادرة في معالجة البنية المعقدة لنص علمي طويل وحسب، بل تعامل بأريحية مع مفردات تقنية لا يوجد لها مقابل في كثير من الأحيان باللغة العربية، أبعد من ذلك لجأ العمراني في معاينته للنص إلى الحفر في مفردات أجنبية وردها إلى أصولها العربية، وخصوصاً فيما يتعلق مع أسماء لتقنيات فنية استخدمها الفنانون في عصور غابرة، وكادت أن تطمس من قاموس العربية.

دواعي النشر

ويحدد مؤلفو الكتاب دواعي نشره، فقد حظي الفن الإسلامي في العقود الأخيرة، باهتمام بدراسته متجاوزاً ما كان يعد اهتماما حصرياً للمؤرخين والعارفين خاصة في الغرب، ليشمل تشكيلة عريضة من القراء في بلدان عديدة على أن الزيادة الأهم في القراء هي بين أوساط الطلبة والعلماء وجامعي التحف الفنية.

ويلحظ الكتاب أن رغبة القراء في التعرف على هذا الفن إنما هي ناجمة عن إدراك متزايد منهم للإسهامات العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية للفن العالمي.

ومن هذه الإسهامات الحضارية مختلف طرائق الفن والتشييد، وتصنيع التحف الفنية واستخدام التقنيات المزخرفة وهو ما يعرف بالفن الوظيفي، وعلى هذا الأساس فقد استخدمت التحف المزخرفة من الناس بكافة مشاربهم من حكام منتمين إلى أصول عرقية مختلفة إلى تجار وأثرياء وصولاً إلى الناس البسطاء، وربات البيوت من النساء ومن أقوام مختلفة من غير المسلمين، مسيجيين ويهود وزردشتيين ووثنيين.

في الكتاب يبين المؤلفون منهجيتهم التي تتبدى في الفصول الثمانية، والتي تتركز على الانصراف عن تحديد ودراسة تاريخية الفن عبر السلالات الحاكمة للأقاليم الإسلامية، إلى اعتماد منهج يقوم على نسبة هذا الفن إلى أقاليم محددة وهي الأقاليم الإسلامية الوسطى، والغربية، والشرقية، إضافة إلى دراسة خاصة بالفن الإسلامي وغير المسلمين.

يسبق الحديث عن كل إقليم بتمهيد تاريخي يدرس ويتابع ويعرض للفن وإرهاصاته وتشكله، ومن بين كتب قليلة يذهب المؤلف بعيدا إلى إرهاصات وبدايات الفن الذي نشأ وأزهرت إبداعاته في فترة قصيرة نسبياً، وفي تحديده لمفهوم الفن الإسلامي باعتباره أحد مفاتيح منهج التأليف يرى واضعو الكتاب أن الفن الإسلامي يشير إلى كل المنشآت وآثار الثقافة المادية التي أنشأها المسلمون أو أنتجت للناس الذين عاشوا في ظل حكام مسلمين، أو في كيانات اجتماعية وثقافية تأثرت بقوة بأنماط الحياة والفكر التي تميز الإسلام.

قرون من الفتنة

يلحظ الكتاب السرعة الهائلة التي انتشر فيها الإسلام وأثر ذلك على الفن، ففي عام 622 ميلادي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفي العام 750 ميلادي كانت الجيوش الإسلامية قد اخترقت جنوب فرنسا، وفي الأثناء تأسست مدن جديدة في شمال أفريقيا، كما شيدت قبة الصخرة في القدس.

وفي خلاصة فإن الفن الإسلامي لم يتطور تدريجيا عند التقاء الدولة والعقيدة الجديدتين، بأية تقاليد قديمة تواصلت في المناطق التي امتد إليها النفوذ بل يكاد يكون بروز الفن الإسلامي فجائيا مثل عقيدته ودولته.

وفي قراءته للمناخ الفني لدى ظهور الإسلام يعرج الكتاب على المعمار قبل ظهور الإسلام والفضاءات التي حكمت بنيته، مشيراً إلى الكعبة الشريفة، وبيت النبي صلى الله عليه وسلم والذي يتألف من باحة مربعة بسيطة وعدد قليل من الغرف على الجانب ورواق من جذوع النخل مغطى بسعف، ويحوي الكتاب مسقطا للبيت.

يتابع الكتاب قراءته في فصل ثان، للفنون في الأقاليم الإسلامية الوسطى والتي يقع ضمنها قبة الصخرة المشرفة، التي تعد أقدم منشأة معمارية إسلامية مازالت قائمة حتى الساعة، وكان قد اكتمل بناؤها العام 71 هجري الموافق لـ691 ميلادي، كما يقع ضمن هذا الإقليم الجامع الأموي في دمشق والعديد من الأماكن المعمارية الأخرى.

بخلاصة فإن كتاب الفن الإسلامي الصادر عن هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة وهو الجزء الأول ضمن مشروعها في التعريف بالفن الإسلامي يمثل في لوحاته وعروضه وتمهيداته التاريخية سياحة حقيقية في قرون الإبداع والعمارة الإسلامية تنقل متصفح الكتاب إلى قرون من الدهشة والفتنة.

فن الرسم على الرصيف بالأبعاد الثلاثية

في عام 1970 ظهرت أول مسابقة للرسم في الشوارع وكان الهدف من المسابقة لتسجيل ونشر أعمال (الذين يعتقد أن) الممارسين الأخيرين من هذا الشكل الفني الغير تقليدي. وكان الرسامين بالفعل في سن الـ 90 عاماً، لذلك كان هناك اهتمام شديد بالاحتفاظ بأعمالهم وفي عام 1983 ظهر بعض الأشخاص الذين عشقوا هذا الفن. وسرعان ما لاقى رواجاً كبيراً في جل العواصم بعد أن قام الفنان الأمريكي كيرت وينر بإدخال تقنية الرسومات ثلاثية الأبعاد على هذا الفن ليمنحه بذلك بعداً جديداً.

الرسم في الشوارع وعلى الرصيف من ضمن أشهر الفنون في أمريكا وأوربا يتم الرسم على الشارع أو الرصيف بمواد يمكن إزالتها بسهولة و قد بدأ هذا الفن في إيطاليا في القرن السادس عشر، وكان يستخدم لتزيين الشوارع والأرصفة والجدران في المهرجانات والأعياد الدينية.

الرسم ثلاثي الأبعاد في الشوارع هو فن يقوم على الخدع البصرية. يتخذ الفنان من شارع أو فضاء عام مسطح بالكامل مكاناً لرسمه، ثم يحدد زاوية رؤية معينة، وعلى هذا النحو يمكن أن يوهم المشاهدين أن ما يرونه ليس شارعاً مسطحاً وإنما بناية أو نهر أو حفرة أو أي شيء آخر. فهو يهيئ للناظر من بعيد أشياء ليست حقيقة، مثل وجود أشخاص آخرين لا وجود لهم، أو وجود حفرة عميقة أو شلالات مياه وأشياء أخرى، تدهش وتسحر. وحين تقترب منها، تذهلك حقيقة الخدع البصرية بأدوات بسيطة كالطباشير الملون على الأرض. كما يقوم الرسام المبدع بضبط وضعية الرسومات مع زاوية التصوير لتكون النتيجة مجموعة من الأعمال شديدة الواقعية.

وفي هذا الصدد يقول عالم الاجتماع الفرنسي هنري ليفيفر في كتابه (الثورة الحضارية، 1970) أصبح المجتمع حضرياً بالكامل، وأصبح الشارع مكاناً للعب والتعلم. الشارع فوضى، فوضى نشيطة. شارع يخبر ويسحر. والفضاء الحضري للشارع أصبح مكاناً للحديث وتبادل الكلمات والعلامات والأشياء. مكان يصبح فيه الكلام كتابة، مكان يمكن أن يتحول فيه الكلام إلى فعل همجي. وهذا (الكلام)، بتحديه للقواعد والمؤسسات، قد حشر نفسه في الطرقات أو الجدران.

وقد ينظر قلة إلى الرسم على الطرقات الرئيسة والساحات العامة على أنه عمل تخريبي ومخل بالمنظر العام للمدينة، في حين يعتبره أغلب المتابعين لوحات فنية رائعة ومعبرة تنم عن إبداع وخيال واسع ومجدد، يشد المارة ويسحر الأعين. فالفن والإبداع يمكن أن يولدا في أي مكان وزمان. وهو في الواقع فن ظاهره تسلية وتعبير وباطنه مواقف تتداعى بين القبول بالواقع ورفضه. ومهما يكن من أمر، فالرسم على الطريق أصبح حقيقة وانتشر في كثير من المدن العالمية الكبرى ليغير من شكلها ويجلب الانتباه. وعادة ما يتجمع المارة حول الرسام فيدهشون لخفة يده ودقة لوحاته التي تحمل رسالة ومضموناً. فهي شكل من أشكال التعبير والمقاومة والطموح، وتحدّ لاحتكار الشركات الكبرى للفضاء العمومي من خلال الإعلانات التجارية مسبقة الدفع.

وتعتبر أوهام البصر نوع من أنواع التسلية التي لا يكف الفنانون من الإبداع بها، وعلى الرغم من أنه ليست جميع أنواع الفن تقدر إلا أن هذا النوع من الفنون هو حالة استثنائية إذ أنه باستخدام قطع من الطباشير بالإمكان أن ترى أجمل لوحة وهمية على الإطلاق.

و تكثر هذه القطع الفنية الرائعة على العديد من الأرصفة والشوارع في جميع أنحاء العالم.

وهو بالأساس فن بصري نشأ وتطور في أطر حضرية، أي الطرقات والساحات العامة. فكان عفوياً ولم يمول من طرف الحكومات. وقد تحدى الفنانون الصورة النمطية للفن عبر إخراجه من السياقات الفنية القديمة. ولا يطمح رسامو الطريق إلى تغيير مفهوم العمل الفني وإنما إلى إثارة أسئلة عن الواقع الراهن وبشكل تعبيري مجدد عبر طرح مواضيع اجتماعية راهنة بطرق وقيم جمالية مختلفة.

وسرعان ما تحول إلى ثقافة شعبية عالمية، يزداد المشاركون فيه كل يوم من مختلف المدن. يشاركون في ورشات الرسم على الطريق في نيويورك ولندن وبرلين وطوكيو وريو دي جانيرو وغيرها. كما ظهرت مجلات متخصصة في عرض إنتاجات فن الرسم على الطرقات ودور عرض للتعريف بالرسامين وأعمالهم. واهتمت بعض الشركات التجارية الكبرى بهذا الفن وسعت إلى استقطاب الشباب والجمهور المولعين بالرسم والتصميم.

وتختلف الدوافع والأهداف التي حركت

الفنانين على الرسم على الطرقات باختلاف أهدافهم وتوجهاتهم. فقد يكون هذا الشكل من الرسم وسيلة فعالة عند البعض للوصول إلى المجتمع بهدف تحسيس أفراده بمسائل اجتماعية أو سياسية معينة. ونال عديد الرسامين اهتماماً عالمياً بفضل أعمالهم التي عرضوها في شوارع بمدن رئيسة أخرى. وهم الآن جزء مهم من الفضاء الأوسع للفن المعاصر والثقافة المرئية. فهذا الصنف من الفن يؤلف ويمرر مفردات بصرية ومجموعة من السجلات الأسلوبية، التي أصبحت متداولة عبر الثقافة الجماهيرية الواسعة. كما أثبت فن الرسم على الطريق أن الفضاء الحضري لا يمكن أن يكون فضاء محايداً، فقد أصبحت الرسومات المعروضة أمام الجميع تناقش وتلهم وتثير الرسام والمتقبل على حد سواء.

ومن أشهر رسامي الشوارع في العالم نذكر كل من جوليان بيفير، الذي يعتبر أحد أشهر فناني رسم الشوارع على الإطلاق بفضل تحكمه المذهل في منظور الرسومات واللوحات، والتي تبدو كما لو كانت أشكالاً حقيقية مجسمة باحتراف. ويرسم جوليان بيفير لوحاته بشوارع مدن عالمية كبرى مثل لندن ونيويورك وباريس وبرلين. إضافة إلى إدجار مويلار الذي لا يقل شهرة هو الآخر. ولكنه على عكس جوليان، يتخصص في الرسومات التي تمتد على مساحات شاسعة، لدرجة أنه يقوم أحياناً بتزيين شارع بأكمله. والفنانة ترايسي لي التي اكتسبت هي الأخرى شهرة واسعة في هذا المجال، ولها رسومات شهيرة لزعماء في العالم. كما لايمكن في هذا الصدد المرور دون التطرق الى الرسام إيريك جروه الذي يتميز عن الفنانين السابقين برسمه لخدع بصرية مدهشة على الجدران بدلاً من أرضيات الشوارع، وحيث تجبرك في الحال درجة واقعيتها على تأمل الصورة مراراً وتكراراً حتى تتيقن أنها مجرد رسم.

وتكمن قوة الأفكار المجسدة لهذا الفن في خديعة الإيهام بالسقوط في حفرة أو منحدر أو بركة ماء، حيث يرسم الفنان عمله ثلاثي الأبعاد على الشارع باستخدام الطباشير فتبدو واقعية بشكل مدهش، بحيث يخيل للناظر بوجود هوة فيه تمتد إلى باطن الأرض.

إن الإبداع ينأى بالفرد عن التقليد أو التكرار، بل إن المبدع هو الشخص الذي يكون بالضرورة النسخة المجددة والفريدة. ولا يتم ذلك إلا بالتجديد المستمر للنفس والفكر والطموحات، وهو ما يدفعه لتفجير طاقته الإبداعيّة الكامنة بداخله وتوظيفها في خدمة الأهداف، فكل فرد هو مبدع في ذاته شرط الطموح للأعلى والتحلي بهمّة عالية ونفس جديد.

ولد جوليان بيفيير في شولتهايم بالمملكة المتحدة عام 1959 وترعرع في ميلتون. درس الفن في جامعة ليدز بين سنتي 1979-1983. بدأ الرسم بالطباشير في أواسط تسعينيات القرن العشرين. وقد امتهن الرسم في عدة دول منها أمريكا وأستراليا وأوربا. وفي سنة 2007 أنجز سلسلة تلفزيونية من عشرة أجزاء. وفي 2011 كتب كتاباً اسماه (فنان الرصيف بالطباشير). وكان كلما رأى شيئاً أعجبه رسمه في الشارع بإتقان محاولاً إثارة انتباه المارة وإعجابهم معاً. يقول في موقعه على الانترنيت. عن بداياته في الرسم الثلاثي الأبعاد على الرصيف: «بدأت الرسم عندما كنت في شارع للمشاة في بروكسل حيث أزيلت حديقته القديمة. وترك ذلك قطعة مستطيلة على بلاط الرصيف أعطاني ذلك فكرة لتحويله إلى بركة سباحة».

البعض يطلق عليه اسم (بيكاسو الرصيف) وهو الآن مطلوب من الشركات التجارية الكبرى حيث عمل في 28 دولة مختلفة وهو لا يزال يجد الوقت الكافي لإنجاز رسوماته إرضاءً لنفسه وتحقيقاً لمصالح تلك الشركات.

كل رسم يرسمه ينبغي النظر إليه من نقطة معينة وإذا جدت عنها يعرضها ذلك للتشويه فتفقد معناها وجماليتها وبالتالي يصعب التعرف عليها، بمعنى يجب النظر إلى رسوماته من وجهة محددة لتراها بأبعادها الثلاثية. وهو بهذا تحدى قوانين المنظور.

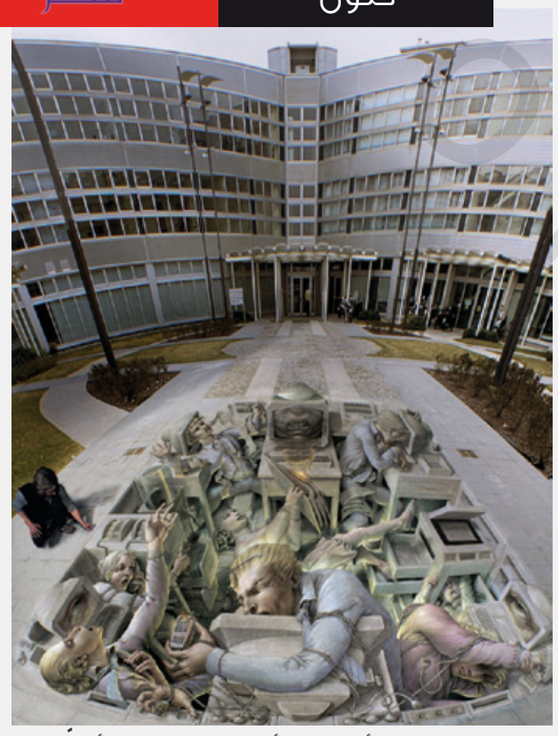

بقي أن نشير إلى أن جوليان بيفيير يرسم أيضاً بالألوان الزيتية على الجدران والحوائط وهو في ذلك فنان مبدع ومتميز غير أن حبه للرسم الثلاثي الأبعاد على الرصيف طغى على بقية مواهبه.

يمكنكم زيارة الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=wi3yJ6KH9qI